



القوة البحرية السعودية الأسطول المساند المقنع

تأليف : دافيد رينز
ترجمة : د. د. محمد بن الغني سعودي

اغسطس ١٩٨٠
رمضان ١٤٠٠

٢٠

نشرة دورية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية
يُصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

نشرة دورية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية
يُصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والمجعية الجغرافية الكويتية

إشراف

د. عبد الله يوسف الغنيم

أشرة التحرير :

الدكتور عبد الله يوسف الغنيم
الأستاذ إبراهيم الشطي
الأستاذ الدكتور محمد صفى الدين أبو الغز
الأستاذ الدكتور محمود طه أبو العلا
الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبى
الدكتور طه محمد جداد

رئيس قسم الجغرافيا
رئيس مجعية الجغرافية الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم

القوة البحرية السوفيتية الاسطول المساند المفتح

(١)

تأليف : دافيد ريس
ترجمة : د. محمد الغنمي سعودي

تقديم المترجم للدراسة

العملاقان والبحر

تعتبر الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي بأى مقياس من مقاييس القوى ، هما القوتان الرائدتان أو القوتان الاعظم Super Powers في عالمنا المعاصر ، ويرجع ظهورهما كقوى عملاقة الى الحرب العالمية الثانية ، حينما ظهرت الولايات المتحدة الامريكية بطاقة صناعية ضخمة ، لم تتأثر بالازمة التي عانت منها الدول الاوربية حينذاك ، فضلا عن سلاح ذري جرب في اليابان ، وقوتين جوية وبحرية ضخمتين ، بينما انتهت الحرب وقد بسط الاتحاد السوفيتي نفوذه على ثلثى القارة الاوربية ، وبأكبر قوة برية عالمية تضم حشدا كبيرا من المدرعات والمدفعية ، فضلا عن مراكز صناعية لم تتأثر بالاحتلال النازي ، وعملت كل قوة منذ نهاية الحرب على جذب عدد من الدول تسير في محورها ، كما واجهت كل منهما الاخرى في اكثر من مناسبة بطريق مباشر وغير مباشر ، في المجر ، وكوريا ، وفيتنام ، وكوبا والشرق الاوسط الخ . . .

وقد استمر الاتحاد السوفيتي في الجانب الدفاعي حتى اوائل الستينات لعدم قدرته على ردع الولايات المتحدة الامريكية ذات السلاح الذري ، اذا ما قامت الحرب العالمية الثالثة ، ومن ثم كانت الولايات المتحدة الامريكية لديها السيطرة

(1) David Rees, "SOVIET SEA POWER, The Covert Support Fleet," Conflict Studies, Institute for the Study of the Conflict, London No. 84., June 1977.

الحربية على العالم في تلك الفترة ، ولكن تغير الحال بعد أن أصبح الاتحاد السوفيتي بدوره قوة نووية يمكنها ردع الولايات المتحدة الأمريكية أو مبادعتها . وقد بلغ كل منهما قدرا من التسليح المتطور لدرجة انه ليس متصورا أن يكون بعد ذلك هناك مجال لاسلحة تدميرية رهيبة . وفي صراع القوة لم تأل أى قوة من القوتين جهدا في سبيل أن يكون لها قصب السبق في كل نوع من الاسلحة البرية والجوية والبحرية .

وتعتبر القوة البحرية ذات شأن في الحروب ، ويشبه السباق الذي يقوم الان بين القوة البحرية السوفيتية والقوة البحرية الأمريكية ، ما سبقه من سباق بين القوة البحرية الألمانية والقوة البحرية البريطانية ، فالاتحاد السوفيتي قادم جديد في عالم البحر ، كما كانت المانيا من قبل ، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي القوتين البحريتين الرئيسيتين على المسرح العالمي ، وقد تبوأ الاتحاد السوفيتي وهو القادم الجديد في مجال البحر مكانة عالية ، دهش لها الكثيرون ، بل وادت الى ارتفاع الاصوات محذرة من ذلك الخطر الجديد .

ويعتبر السوفيت ان القوة البحرية تمثل عنصرا من أهم عناصر القوة السوفيتية ، التي تضمن تقوية الاقتصاد السوفيتي وتقدمه علميا وتكنولوجيا وحضاريا فضلا عن ردع القوى المعادية له . ولم تصبح وظيفة الاسطول الحربي هي الوظيفة التقليدية القديمة ، وهي الاشتباك في المعارك البحرية الاخرى ، والحصار البحري ، وضرب الموانئ ، بل تعدته الى تدمير الامكانات الحربية والاقتصادية للعدو بضرب مراكز صناعاته الحيوية .

والتعبير المادي عن أهمية القوة البحرية في رد الاعتداءات عن الاتحاد السوفيتي هو التنمية المستمرة للبحرية السوفيتية كما ونوعا ، لانه على طول التاريخ لم تكن هناك قوة تتبوأ مركزا عالميا دون أن يكون لها أسطول يحمل تجارتها الى الخارج ويأتيها بالخامات ، وينقل عسكرها لفرض قراراتها في جهات بعيدة عن أرضها ، كما يضمن نجاح سياستها الخارجية وزيادة علاقتها مع الدول الاخرى . ويضربون مثلا بالبحرية الأمريكية والدور الذي لعبته في الحرب العالمية الثانية . وقد تطورت البحرية في الوقت الحاضر بعد التطور التكنولوجي المستمر في التسليح وتمثل هذا التطور في بناء غواصات تسير بالقوى الذرية ، وادخال الصواريخ الموجهة ، والصواريخ الذرية مع امكان ضربها من الغواصات وهي على اعماق بعيدة ، وخلق اسطول جوي بحري يعتمد على حاملات الطائرات ، واحداث تغيرات كثيرة في طرق واستخدام الاسلحة المضادة للغواصات ، واستخدام الكمبيوتر ونظم التحكم عن بعد remote control في توجيه

الضربات . واذا كانت السيادة البحرية في الحرب العالمية الاولى قررتها البوارج الحربية في المرتبة الاولى ، وقررتها حاملات الطائرات في الحرب العالمية الثانية، فمن المرجح ان الغواصات النووية ستكون سيدة قطع الاسطول اذا ما نشبت حرب عالمية أخرى ، اذا ما زودت بصواريخ ذات رؤوس نووية وصواريخ عابرة للقارات لتكون أساس القوة الضاربة حيث يبلغ مداها ما يزيد على ١٥٠٠ ميل أى حوالي ٢٤٨٠ كيلو مترا ، بالإضافة الى بعض الصواريخ العملاقة من طراز (س س / ن / ٨) والتي يبلغ مداها ٦٨٠٠ كيلو متر* ، أى أنه يمكن ضرب الاهداف الأرضية من البحر ، وهذا النظام الذري المحيطي أكثر مرونة وأكثر قدرة على الاختفاء بسبب إمكان استخدام الاعماق المختلفة للتخفي ، وهذا يفسر تحول المحيطات والبحار الى قواعد متحركة للقوتين الاعظم .

وفي الحق لقد زادت أهمية البحار والمحيطات وتنوعت ، فزادت الحركة التجارية البحرية بحيث بلغت { أضعاف ما كانت عليه منذ ربيع قرن ، اذ بلغت حمولة السفن التجارية التي تزيد على الالف طن ٦٢٧ مليون طن عام ١٩٧٧ ، لدرجة احتقان كثير من الممرات المائية العالمية والمواني الرئيسية ، كما زادت التقنية من كفاءة صناعة صيد الاسماك لدرجة هددت بعض الانواع البحرية

* انظر أهمية الغواصات حاملة الصواريخ في الحديث الذي دار بين خروتشوف ونيكسون نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ ، ورد في كتاب

E. Mazo and S. Hess "NIXON : A Political Portrait, Ny. 1968.

خروتشوف : الاساطيل البحرية اليوم عديمة القيمة ، فهي صالحة لد سمك القرش بالغذاء ، ان الاتحاد السوفيتي لن يبني بوارج وحاملات طائرات كثيرة .

نيكسون : وماذا عن الغواصات ؟

خروتشوف : نحن نبني غواصات ما أمكننا .

نيكسون : الغواصات ممتازة لاطلاق الصواريخ ، وتزداد فعاليتها في هذا المجال اذا ما أمكن استخدام الوقود الصلب في تشغيلها .

خروتشوف : هذا صحيح ، ولكن الخبراء السوفيت يعتقدون أنه من الأفضل اطلاق الصواريخ من اليابس عن الماء .

نيكسون : هذا يعتمد على الموقف الاستراتيجي للدولة المعنية .

خروتشوف : أريد أن أكشف سرا آخر ، سوف نستخدم الغواصات في تدمير المواني واسطول العدو والمناطق لأمسكية ، واذا ما حطمتنا اسطول العدو نكون قد قطعنا خطوط مواصلاته ، وهي ذات أهمية كبيرة له ، لان العدو الاتحاد السوفيتي سوف يكون معتمدا بدرجة كبيرة على المواصلات البحرية .

بالفناء ، اذ ارتفع محصول الصيد من ١٦ مليون طن عام ١٩٥٠ الى ما يزيد على ٧٤ مليون طن عام ١٩٧٧ ، وأصبح هناك خطر واضح على الجماعات الساحلية التي تعيش على الصيد ، وساعد التقدم التقني على الوصول الى الموارد الهيدروكربونية في الارصفة القارية ، بل الى عقد المنجنيز في قيعان البحار ، وكانت مشكلة الطاقة والطلب المتزايد للدول الصناعية على الخامات من اكبر الدوافع أيضا للاتجاه نحو البحر .

لذلك تعالج القوة البحرية في الوقت الحاضر لا على أساس قدرة الاساطيل الحربية ، فحسب ، بل على أساس أن الاساطيل البحرية الحربية والعلمية واساطيل الصيد والنقل وحدة متكاملة مترابطة ، وعلى أساس وحدة البعد المكاني أى المحيط العالمي ، لا المحيط الهندي ، والهادي مثلا على حدة .

وتعالج هذه الدراسة التي اعدتها دافيد ريز لمعهد دراسات الصراع في لندن ذلك الفرع غير الحربي من البحرية السوفيتية ودورها في مساندة الاسطول الحربي .

(المترجم)

القوة البحرية السوفيتية الاسطول المساند المنع

اصبح الاسطول السوفيتي قوة استراتيجية رئيسية في المحيطات ، خلال العقد الماضي ، ففي المناورات البحرية السوفيتية (المحيط ٢*) في ابريل عام ١٩٧٥ ، كانت السفن الحربية والقوة البحرية السوفيتية منتشرة في المحيط الاطلنطي ، والبحر المتوسط ، والكاريبي ، وبحر اليابان ، والمحيط الهندي ، في آن واحد . وكان الغطاء الجوي ميسورا للسفن الحربية السوفيتية بفضل شبكة واسعة من القواعد في كوبا وغينيا والصومال* وقد استمرت عملية بناء الاسطول السوفيتي منذ ذلك التاريخ دون تراجع ، مع التأكيد على بناء حاملات الطائرات والغواصات واتاح وصول التأثيرات الاستراتيجية السوفيتية الى انجولا وغيرها في افريقية ، امكانية جديدة للوصول الى المحيطين الاطلنطي الجنوبي ، والهندي ، وبالتالي تهديد طريق الكاب ، شريان الحياة لغرب اوربا .

ومع ذلك ، ورغم الاهمية القصوى لذلك المظهر المهمل في غالب الاحيان ، للنمو الصاروخي للقوة البحرية السوفيتية ، فهناك التأكيد المستمر لموسكو على التوسع في السفن التجارية ، وسفن الصيد ، واساطيل المساحة البحرية ، وهذه الاساطيل الثلاثة تحت سيطرة البحرية السوفيتية ، ولها نشاطها الخاص ، ويعين لها افراد من الاسطول السوفيتي كنوع من التدريب على هذه الخدمات .

وفي رأى ادميرال الاسطول السوفيتي سيرجي جورشكوف* Sergi Gorshkov والذي يعتبر صاحب الفضل في تقدم الاسطول خلال العقد الماضي

* — الاسم الكودي للمناورة

★ يتكلم عن عام ١٩٧٥ ، اما الان في عام ١٩٨٠ فلا توجد قواعد سوفيتية في الصومال .
★ يعرف في الاتحاد السوفيتي بانه أب البحرية السوفيتية الحديثة لانه اشرف على تحولها من مجرد قوة دفاع ساحلية في الخمسينيات الى قوة بحرية ذرية عالمية ، وقد اشار جورشكوف في سلسلة مقالات له نشرت بين فبراير ١٩٧٢ ، فبراير ١٩٧٣ بعنوان الاساطيل في الحرب والسلام في مجلة « مختارات البحرية » Morskoi Sborink الى أن الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى يجب أن يكون له اسطول قوي . وقد ترجمت هذه المقالات ونشرت في اعمال البحرية الامريكية عام ١٩٧٤ ، ثم اصدر كتابه الكبير عن قوة الدولة البحرية الذي نشرته مطبعة وزارة الدفاع السوفيتية عام ١٩٧٦ مؤكدا رايه السابق في اهمية المحيطات لبقاء قوة الاتحاد السوفيتي وتأثيره . وقد نشر روبن اينسزتين Reuben Ainsztein

احد محرري الصنداي تايمز تلخيصا لهذا الكتاب في مجلة

Survival, vol. XIX, No. I, Jan. 1977, International Institute for Strategic Studies, London. (المترجم)

— أن أساطيل التجارة والصيد والمساحة ، لاغنى عنها للقوة البحرية ، فقد صرح علنا في يوم البحرية السوفيتية في يولية عام ١٩٥٦ ، بقوله « ان النقل البحري والصيد البحري ، والبحث العلمي في البحار ، هي جزء من القوة البحرية السوفيتية ، (١) وهكذا تقدم أساطيل التجارة والصيد والمساحة البحرية أكثر من نقل تجاري ، وبروتين سمكي وبيانات علمية للاقتصاد السوفيتي ، فهي تلعب بالضرورة دورا استراتيجيا لتحقيق اغراض السوفيت في السيادة البحرية العالمية ، وفي الامتداد بالسياسة الخارجية الى نطاق عالمي أكثر اتساعا .

فمن الناحية التكتيكية ، تعمل سفن الصيد والتجارة والابحاث كمقدمات للسفن الحربية ، تفتح أمامها الموانئ ، وتختبر الموانئ وغيرها من العمليات الممنوعة أحيانا بالنسبة لوحدات الاسطول السوفيتي ، اذ تؤدي زيارات البحرية التجارية ، وشقيقاتها التي تقوم بخدمات أخرى الى الحصول على التسهيلات البحرية ، وبالتالي تسهل دخول الوحدات البحرية الحربية بين حين وآخر . وهناك مظهر آخر لتلك الزيارات ، يتمثل في دورها في عقد اتفاقات صيد الاسماك ، والتي من خلالها يمكن للاتحاد السوفيتي أن يدور حول الاتفاقيات الدولية غير المحكمة وقد اكد راديو موسكو في اذاعته الموجهة الى افريقية في التاسع من فبراير عام ١٩٧٦ على أن الاتحاد السوفيتي يتعاون مع أكثر من عشرين دولة فيما يختص بصيد الاسماك في افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية (يعتقد بعض الخبراء الغربيين بأن عدد الاقطار التي تضمنتها تلك الاتفاقيات الثنائية يزيد على هذا الرقم) وفي أعقاب سفن الشحن والصيد ، تأتي سفن المساحة ، وهي سفن مخابرات الكترونية .

ومع ذلك ، فهناك مظهر آخر لهذا التوسع التجاري في أعالي البحار ، ويتمثل في دخول الروس ميدان الشحن البحري ، حيث يمكن للسفن السوفيتية بفضل دعم الدولة الكبيرة ، أن تخفض من أسعار الشحن ، وبالتالي يمكنها أن تحتكر بعض الخطوط ، بهذه الطريقة ، وبطرق أخرى تنمو وتتقدم البحرية السوفيتية على طول الطرق الحرجة للتجارة البحرية العالمية ، من عام الى آخر وفي الغالب لا يحس بها أحد . وعلى العكس يتدهور النفوذ الغربي ، رغم أن ٨٠٪ من تجارة العالم مصدره أقطار الغرب الصناعية .

ان اندفاع السوفيت نحو النمو والتقدم البحري على طول طرق التجارة البحرية ومصادر الاسماك لم يظهر علامة من علامات التراجع . فقد دعت الخطة الخمسية الجارية (١٩٧٦/١٩٨٠) الى زيادة الاسطول التجاري بمعدل خمس حمولته حتى عام ١٩٨٠ ، كما ان الاتحاد السوفيتي قد خلق صناعة متقدمة لبناء

السفن في العقد الماضي ، بالتعاون مع شركائه في الكميكون مثل بولندا والمانيا الديمقراطية ، وكانت النتيجة الصافية لهذه التنمية التراكمية ، أن أصبح الاتحاد السوفيتي يملك أكبر أسطول لصيد الاسماك ، وواحدا من أكبر وأسرع الاساطيل التجارية نموا ومن ثم يصبح الاتجاه أو الدافع الاساسي للسوفيت هو التفوق البحري الكامل بكل اشكاله .

استراتيجية جورشكوف

وليس هذا كل ما في الامر ، لان هذا النمو الفعلي السريع لاساطيل التجارة، والصيد ، والبحث العلمي ، لابد وأن ينظر اليه بمنظور تاريخي ، قبل التحقق مما يتضمنه من تهديد للغرب ، وبهذا المنظور فان النمو الدرامي للأسطول السوفيتي ولقواه البحرية في العقد الماضي يعتبر نموا فريدا لم يسبق له مثيل في تاريخ القوة البحرية . فهو فريد ، ولم يسبق له مثيل ، لان القوة البحرية للقوتين الرائدتين البحريتين في العالم الغربي وهما بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية ، هما نتيجة نمو عضوي امتد عبر قرون ، فضلا عن أنهما اذا ما قورنا بالاتحاد السوفيتي ذي الاكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية الى حد كبير ، فإن امريكا الشمالية وبريطانيا بل وغرب اوربا يعتمدان في حياتهما على طرق التجارة البحرية ، والتي هي عرضة الان للقطع بواسطة القوة البحرية السوفيتية .

ولقد كان الاسطول السوفيتي منذ اقل من خمسة عشر عاما قوة دفاع ساحلية في المكان الاول ، وكانت مؤتمرات النقل البحري الغربية تعتبر الاسطول السوفيتي التجاري أسطولا متسكعا قديما*، كما كان رد الفعل السوفيتي لسيطرة الغرب على البحار ضئيلة بين عامي ١٩٤٥/١٩٧٠ ، وقد اتضح هذا ابان الحرب الكورية ، وأزمة السويس عام ١٩٥٦ ، وتدخل الولايات المتحدة الامريكية في لبنان عام ١٩٥٨ ، وفوق هذا وذلك خلال أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

والان في عام ١٩٧٧ ، فان سفن الاسطول السوفيتي والسفن التجارية لاتوجد في البحار السبعة . واذا كانت القوة البحرية السوفيتية قد تركت طابعا قويا الى حد ما في الرأي العام الغربي ، فان الذي لا يعرف الا بدرجة قليلة هو أن اسطول الغواصات السوفيتي في عام ١٩٧٧ يعادل عشر مرات حجم نظيره النازي الالماني في سبتمبر ١٩٣٩ ، فطبقا للمرشد البحري المسمى Jane's Fighting Ships (طبعة ١٩٧٥/٧٦) صرف الاتحاد السوفيتي ما يعادل

* — متسكع Tramp اى غير منتظم ، بينما سفن الخطوط المنتظمة يطلق عليها Liners

٥٠٪ زيادة عما صرفته الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الماضي ، ويصرف الان ما يزيد على ثلث ما تصرفه القوة العظمى المنافسة على التوسع البحري .

ويعلق كابتن جون مور Jhon moore النائب السابق لمدير المخابرات البريطانية ومحرر مجلة Jane's Fighting Ships بقوله :

« كنت انظر الى خريطة لعام ١٨٩٧ عندما كانت الامبراطورية البريطانية في الاوج ، وكان هناك العديد من النقط السوداء ، كل منها يمثل محطة فحم حيث يمكن للاسطول البريطاني والسفن التجارية التزود بالوقود ، والان فان الروس هم الذين لهم اكبر عدد من العلامات على هذه الخريطة ، فيمكن للسفن السوفيتية زيادة قواعد لها في الدول الصديقة ، وتقف في مواني أخرى تحصل فيها على خدمات . (٢) »

والمحصلة الاستراتيجية الصافية لهذا الاستخدام للقوة البحرية هي زيادة طاقة الاتحاد السوفيتي بدرجة كبيرة على ضرب ما يسميه بريان كروزير Brian Crozier « بمنطقة الهدف » بالنسبة للغرب . (٣) ويشير كروزير الى أنه نظرا لان التوسع السوفيتي ، منتشر في استراتيجية عالمية جديدة ، وخالق لدول تابعة على نطاق عالمي ، فان منطقة الهدف الغربية تنكمش سواء بالنسبة للارض او للسكان ، والنتيجة الحتمية هي ضالة امكانات وصول اوربا الغربية الى مصادر مأمونة للطاقة وللمعادن الاستراتيجية ، وفي هذه العملية تلعب اساطيل التجارة والصيد والمساحة دورا وان كان مهملا ، الا انه ديناميكي نظرا لتوافر تسهيلات جديدة امام السوفيت على نطاق عالمي .

ومهما كانت الاحتجاجات ، فإنه من الصعب على قادة الكرملين أن يكونوا واضحين فيما يختص بدور القوة البحرية الجديدة في تحقيق أغراضهم العالمية . وقد كتب الاميرال جور شكوف في كتابه الجديد « القوة البحرية للدولة » ان حروب الغزو تعتبر غريبة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، ولكنها لا شك سوف تحمي بقوة الانجازات الاشتراكية مستخدمة قوة الدولة بما في ذلك الاسطول . . فالاسطول جزء متكامل من القوة الحربية السوفيتية ، يقف حارسا على امسن الوطن . »

ويعتبر ادميرال جور شكوف ، بأن الوفاق مع النهاية الناجمة لمؤتمر هلسنكي عام ١٩٧٥ ، علامة طريق في السياسة الدولية ، نظرا لان الانجازات الحالية على طول طريق السلام قد سبققتها تغيرات أساسية في ميزان القوى لصالح الاشتراكية . . ومع ذلك كما يقول جور شكوف « مازالت القوى الامبريالية

موجودة في العالم ، ولم تتخل عن محاولاتها للحيلولة دون دعم السلام » . ويستمر في قوله « . ان هذه القوى لم تزل الى الان ضارة ، ولم تزل أخطار الحرب ماثلة ، كل هذا يبرر ضرورة الجهود التي تبذلها الدولة لتنمية الاسطول ، العنصر الاساسي لقوة الدولة البحرية والتي يمكنها بواسطته مواجهة الاستراتيجية الامبريالية » . (٤)

ويؤكد جور شكوف على أن « موسكو في نيتها النضال في سبيل السيادة على الاستراتيجية المحيطة للامبريالية » كالطرق البحرية التاريخية والحيوية المسئولة عن بقاء الغرب ، ونظرا لانه لا يمكن التحكم في الحرب ، ومن ثم فدور القوة البحرية السوفيتية ، هو تنمية امكانات النصر على الخصوم الغربيين . فيجب أن يكون الاتحاد السوفيتي مستعدا لكل الاحتمالات في أعالي البحار . وفي هذه العملية ، كما رأينا من كلمات ادميرال جور شكوف ، تلعب أساطيل التجارة والصيد والمساحة دورا مكملا ، ولاغنى عنه .

قواعد ومعاهدات ومراسي

ان قيام هذه الاساطيل الخاصة بالصيد والتجارة والمساحة ، لابد وينظر اليها في مضمون القواعد والمعاهدات والمراسي المحيطية التي نماها الاتحاد السوفيتي خلال العشرين عاما الماضية . فهذه القواعد والمعاهدات والمراسي تقدم الاطار الجغرافي والقانوني والبحري الذي لاغنى عنه ، والذي تنمي موسكو من خلاله أسطولها البحري وشقيقاته على نطاق عالمي ، وليس من شك في ان التأثير السياسي والاستراتيجي ، سيتلوه ، وبالتالي يحد من الاجراءات المضادة الغربية . وتصبح نقطة البداية في هذا المحتوي هي منتصف الخمسينات ، حين لم يكن للاتحاد السوفيتي قواعد بحرية أجنبية ، فقد أعيدت قاعدة بوركالا Porkkala الى فنلندا في أواخر عام ١٩٥٥ ، وفي أوائل ذلك العام أيضا ، أغلق السوفيت قاعدتهم في بورت أرثر التي كانوا مرابطين فيها منذ اتفاقية يالتا عام ١٩٤٥ . وعقدت الاتفاقية السوفيتية الصينية في أغسطس من ذلك العام ، وقد أكد استحواذ السوفيت على تلك القاعدة معاهدة صينية سوفيتية جديدة عام ١٩٥٠ وقعها كل من ستالين وماو .

واصبح الاميرال جور شكوف قائدا للاسطول السوفيتي عام ١٩٥٦ بعد ترك الروس لبوركالا وبورت أرثر ، وبدأ حملته عن القوة البحرية والقواعد التي تنتشر على نطاق عالمي لخدمة السفن الحربية وسفن الشحن ، ورغم ذلك فقد كانت المصروفات الحربية بين عامي ١٩٥٦ ، ١٩٦٢ موجهة أساسا لتنمية قدرة الصواريخ النووية ، وهي فترة انتهت بأزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر عام

١٩٦٢ . وسوف يذكر أنه بينما كان في استطاعة السوفيت تهريب عدد لا بأس به من الصواريخ الى كوبا ، فانه بمجرد اكتشافها ، كان الرئيس كيندي قادرا على حصار الجزيرة بحزم ، مما جعل نهاية اللعبة في يد واشنطن .

وأثبتت البحرية الامريكية انها كانت العامل الحاسم في تلك الازمة . وكانت هذه الاحداث بالاضافة الى تولي بريجنيف السلطة بعد ذلك بعامين ايدانا ببرنامج ضخم للتوسع البحري في القطاعين الحربي والتجاري والذي استمر حتى يومنا هذا ، ومع هذا فان البدايات ذات الاثر ارتبطت بقيادة جور شكوف الذي دعا الى التوسع البحري السوفيتي في اواخر الستينيات والسبعينات . واذا رجعنا الى الوراء الى عام ١٩٥٨ نجد ان موسكو بدأت في تحديث ميناء الحديد في اليمن ، وزاد النفوذ السوفيتي عندما ساند الروس بنجاح الثورة اليمنية التي انفجرت عام ١٩٦٢ ، وعندما انسحب البريطانيون من محمية عدن عام ١٩٦٨ ، وصل الخبراء السوفيت فورا لتشغيل مينائى عدن والمكلا فيما يعرف الان بجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية ، وزيادة على ذلك كان هناك وجود للبحرية السوفيتية منتشرا في البحر المتوسط ، واتفق هذا مع قمة النفوذ السوفيتي في مصر بالحصول على تسهيلات في ميناء الاسكندرية . وعقد المعاهدة المصرية السوفيتية عام ١٩٧١ .

وقد طرد الرئيس السادات المستشارين الروس من مصر في يولية ١٩٧٢ ، ومنع بعد ذلك استخدام السفن الروسية لميناء الاسكندرية ، واستطاع الروس الحصول على تسهيلات ملاحية في الصومال التي قام وزير الدفاع السوفيتي مارشال جريشكو Grechko بزيارتها في فبراير ١٩٧٢ ، وسرعان ما اصبحت بربره اكبر قاعدة بحرية سوفيتية في اعالي البحار ، مع اقتصار استخدام جزء من الميناء عليهم ومد مخرج طوله ١٢ ألف قدم لاستخدام طائرات Tu 95 ، وبناء خزانات للنفط ، واقامة تسهيلات في المواصلات بين موسكو والمحيط الهندي (٥) ، ووقعت معاهدة صداقة مع الصومال في مايو ١٩٧٤ .

وبمقتضى هذه الاحداث برز الاسطول السوفيتي والقوة السوفيتية البحرية بجلاء في المحيط الهندي ، ووقع معاهدة مع العراق عام ١٩٧٢ ، اعطت السفن السوفيتية تسهيلات في البصرة وأم قصر ، وبالتالي قوي الوجود السوفيتي في الخليج العربي ، واستطاع الروس في نفس الوقت تعويض خسارة المواني المصرية بالحصول على تسهيلات في المواني السورية مثل طرطوس واللاذقية في منتصف السبعينيات * ، واستطاع السوفيت بهذا البقاء وزيادة قوتهم البحرية

* وايضا في ليبيا (المترجم)

في كل من البحر المتوسط والمحيط الهندي ، وأصبح هناك تهديد كامن لخط الكاب
البحري .

في المحيط الأطلسي

يجد الاسطول السوفيتي كل المواني الكوبية مفتوحة امامه منذ بداية
الستينيات ، ويحصل السوفيت أيضا على تسهيلات ملاحية في كونا كرى في غينيا ،
بما في ذلك حق هبوط طائرات Tu 95 ، كذلك يتضح النفوذ السوفيتي
في جمهورية الكونغو حينما وعد الرئيس بود جورني حكومتها في مارس ١٩٧٥ بمعونة
ومساعدة كبيرة ، وفي ذلك الوقت كان الفنيون السوفيت فعلا في برازافيل
يستعدون لنقل السوفيت الى انجولا ، ونظرا لان الروس مدوا جسرا استراتيجيا
يربط موسكو بهافانا وبرازافيل بعد ذلك بشهور قليلة ، أصبح ميناء بوان نوار
Point noire ميناء رئيسيا تزوره سفن الشحن السوفيتية حاملة أسلحة
ثقيلة لجبهة التحرير الشعبية لانجولا MPLA المالية لموسكو في حرب انجولا ،
وبتثبيت الحكم الماركسي في انجولا في أوائل عام ١٩٧٦ ، أصبحت لواندا وغيرها
من مواني انجولا مفتوحة أمام السفن السوفيتية بأنواعها ، وكنتيجة منطقية
وقعت اتفاقية تجارة وصيد أسماك بين انجولا والسوفيت في مايو ١٩٧٦ ، متيحة
بذلك تسهيلات فعلية في البلاد ، ووقعت اتفاقية مماثلة بين موسكو وموزمبيق
في نفس ذلك الشهر . واستطاع الاتحاد السوفيتي بهذه الطريقة أن يثبت وجودا
بحريا أساسيا في المحيط الأطلسي ، والبحر المتوسط ، والمحيط الهندي ، وعادة
ما يبدأ هذا الوجود البحري بزيارة سفينة شحن حاملة العلم أو سفينة صيد
محيطية ، وبعد ذلك تزور سفينة حربية الميناء ، وتتكرر الزيارات ، والتزود
بالوقود ، والتسهيلات الاخرى ، وعادة ما تنظمها اتفاقية تجارية أو مساعدة
حربية .

واذا تطرقنا الى التوغل البحري السوفيتي في المحيط الهادي ، لوجدنا
انه في اغسطس ١٩٧٦ على سبيل المثال كان السوفيت يبحثون عن تسهيلات
لسفنهم في اندونيسيا وماليزيا ، وتشير تقارير أخرى الى أن السوفيت كانوا
يبحثون عن تسهيلات لاسطول الصيد في غرب ساموا وجزر تونجا . وأثارت
الغلبين اهتمام السوفيت ، ولكن تشير التقارير الى أن الرسميين في مانيل لم يكونوا
متمحمسين في فبراير ١٩٧٧ ، لان سفن الشحن السوفيتية في نظرهم كانت
تستخدم لتغطية التجسس الروسي .

ويلاحظ أيضا أن موسكو في العقد الماضي أقامت عددا من المراسي العائمة
لسفنها الحربية ولسفن الشحن الخاصة بها مما يعطيها مرونة وتحفظ سر عملياتها

التي تقوم بها وتوجد في البحر المتوسط بالقرب من قبرص في مواجهة سوريا ولبنان ، وفي خليج الحمامات في تونس بالقرب من مضيق صقلية وبالقرب من جزيرة البوران بين أسبانيا والجزائر . وتمتد هذه المراسي العائمة من المحيط الهندي الى بحر الفلبين ، ويلاحظ انها جميعا قريبة من المضائق حيث يمكن وقف تدفق التجارة الدولية اذا ما حدث عدوان . ومنها ما اقيم بالقرب من موريشس وتعطي تلك التي اقيمت بالقرب من موريشس صورة واضحة عن مرونة البحرية السوفيتية وامكانات السياسة ، فخلال الانتخابات الحرجة التي تمت في تلك الدولة بتاريخ ٢٠ ديسمبر عام ١٩٧٦ ، ظهر طرادان روسيان بالقرب من الجزر ، وقد اوضحت المصادر الموريشسية فيما بعد انه كان فوق الطرادين مائة واربعون خبيرا روسيا لاستدعائهم في الحال اذا ما كسب الماركسيون الانتخابات . (٧)

بهذه الطريقة ، لن تصبح موريشس قاعدة روسية محسب ، بل جزيرة تحت سيطرة الروس تتحكم في واحد من أهم المواقع الاستراتيجية الحساسة في العالم ، لانها في طريق النفط حول الكاب ، ومازال هذا الخطر قائما .

البحرية التجارية : توسع ديناميكي

تأتي القوة الاساسية لتزايد تحكم السوفيت التجاري في طرق التجارة العالمية ، نتيجة ظاهرة النمو المطرد لاسطول السوفيت التجاري طوال العقد الماضي ، فقد كان ترتيب اسطول الاتحاد السوفيتي هو ٢٦ بالنسبة للاساطيل العالمية التجارية عام ١٩٥٦ ، ولكنه قفز الى المرتبة السادسة من حيث الحولة عام ١٩٧٦ ، وان كان يأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد القطع البحرية ، ولكن الدفعة القوية بدأت منذ عام ١٩٦٤ كما حدث بالنسبة للاسطول الحربي تماما ، ففي نهاية ذلك العام بلغ عدد السفن التجارية ٩٠٠ سفينة بحمولة قدرها ٦٩٩ مليون طن ، ولكن بعد ذلك بأحد عشر عاما بلغت ١٦٦٠ سفينة بحمولة قدرها ١٥٤٩ مليون طن .

وقد استهدفت الخطة الخمسية الجارية (١٩٧٦/٨٠) كما ذكرنا زيادة الحولة بمعدل الخمس لتصل الى ١٨٤٩ مليون طن في نهاية ١٩٨٠ ، وسوف ييبث الاسطول التجاري حينئذ نحو ألفي سفينة في أعالي البحار ، ولكن هذه الارقام مهما كانت أخاذه ليست الا جزءا من القصة ، فقد أوضح تيموفي جوجينكو وزير البحرية التجارية مدى الطموح السوفيتي بعد مؤتمر الحزب الشيوعي الخامس والعشرين في مارس ١٩٧٦ ، اذ زاد الاسطول التجاري بين عامي ١٩٧١ ، ١٩٧٥ بمقدار ٣٧٠ سفينة جديدة وخلال الخطة الخمسية الجارية سوف يزيد

الاتحاد السوفيتي طاقة المواني الرئيسية بما فيها نوفوروسيسك Novorossk وتوابسي Tuapsi واركأنجل Archangel وتزيد ميكنة التحميل والتفريغ بمعدل ٩٠ ٪ ، وسوف تتخذ الاجراءات لد الملاحه الى الطريق القطبي ، فضلا عن تطوير تسهيلات اصلاح السفن وخاصة في الشرق الاقصى والبحر الاسود .

وتدل الاحصاءات التي نشرها جوجينكو في مايو ١٩٧٦ في « تحت راية الوطن الام » بأن حمولة السفن يتوقع لها أن تزداد بمقدار ٢٥ ٪ في الفترة ١٩٧٦/٨٠ لتزيد بذلك على ٢٨٠ مليون طن ، وتمثل الاضافات الى الاسطول التجاري في ناقلات نفط حمولة ١٥٠ ألف طن ، وسفن حاويات وغيرها من الانواع المختصة ، وستأتي معظم هذه السفن من أحواض الكتلة الشرقية بما فيها بولندا والمانيا الديمقراطية وبلغاريا ، ولكن موسكو طلبت أيضا سفنا جديدة من أحواض بناء السفن في فرنسا ، والمملكة المتحدة ، والمانيا الغربية واليابان . وأشار جوجينكو الى أنه فيما يختص بالاتفاقيات الخاصة بالسفن ، والتي عقدها الاتحاد السوفيتي مع الحكومات الاخرى في مدى عشر سنوات فقد ارتفعت من اتفاقيتين الى خمس وعشرين اتفاقية ومنذ عام ١٩٧١ قامت السفن التجارية بالتجارة مع مائة وتسعة عشر قطرا وحقت أرباحا قدرها ٤ بليون روبل . (٨)

ولقد صادف هذا التوسع الديناميكي للاسطول التجاري فترة ركود نسبي في الاساطيل التجارية الغربية وصناعة بناء السفن . هذا فضلا عن عامل لا يمكن تقديره بدقة ، وان كان ذو اثر ، ويذكره دائما أصحاب السفن في الغرب ، الا وهو أن عمر ثلثي الاسطول التجاري السوفيتي أقل من عشر سنوات ، فاذا اضعفنا الى ذلك تخفيضات اجور الشحن ، كان هذا من العوامل التي تؤدي الى اتساع عمليات التجارة البحرية السوفيتية ، وكنتيجة لهذا زادت حمولة العملاء غير السوفيتيين بمقدار ٢٥٠ ٪ منذ عام ١٩٧١ ، هذا فضلا عن أن ٦٠ ٪ من حمولة سفن نقل أعالي البحار هي لعملاء أجانب ، وبهذه الطريقة أمكن للاسطول التجاري ان يظل نموه متزايدا في عالم الشحن .

سفن الشحن كمساعد للاسطول الحربي

تعتبر السفن التجارية والتي تسيطر عليها البحرية ويشرف عليها ادميرال جورشكوف أساطيل مساعدة ، كما هو الحال في سفن أسطول الصيد والابحاث ويعمل رجال الاسطول على سفن الشحن ، والصيد ، والمساحة كنوع من الروتين . وقد صممت معظم سفن الشحن بحيث تصبح صالحة للاستخدامات الحربية ، وعلى وجه الخصوص صممت لشحن المدفعية الثقيلة ، والطائرات

والدبابات ، والصواريخ النووية . ولا ننسى الدور الذي لعبته البحرية التجارية السوفيتية في أزمة الصواريخ الكوبية ، ففي صيف عام ١٩٦٢ تحت غطاء « برنامج المساعدة الفنية لزيادة الصيد في المياه الكوبية » بدأت سفن الشحن السوفيتية تزور الموانئ الكوبية بأعداد كبيرة حاملة فيها الصواريخ المتوسطة المدى ، فضلا عن قاذفات القنابل IL-28 التي يمكنها حمل القذائف النووية الى قلب الولايات المتحدة الامريكية .

واخيرا والذي لم يستطع الغرب حياله شيئا هو دور الاسطول التجاري في تسليح فيتنام الشمالية ، ونقل الجند الكوبيين الى أنجولا ، نظرا لان الدبابات والمدفعية التي هزمت فيتنام الجنوبية عام ١٩٧٥ ، واشتركت في معارك أنجولا ٧٦/١٩٧٥ ، نقلت الى هايفونج ولواندا على متن سفن البحرية التجارية السوفيتية .

تخفيض أجور الشحن

وهكذا يتضح ما تضمنته الاستراتيجية المباشرة من التوسع في الاسطول التجاري السوفيتي ، ولكن ما يثير الانتباه في دوائر شركات النقل البحري الغربية واليابانية ، بل ويقلقها ، هو تخفيضات تعريفية الشحن التي تقوم بها السفن السوفيتية بانتظام مما يجعلها قادرة على أسر نصيب متزايد من تجارة الشحن العالمية ، وهذا النمو بدوره ، يتضمن استراتيجية طويلة المدى ، لاننا كما سبق أن ذكرنا نجد أن ٨٠٪ من التجارة العالمية مصدرها الاقتصاد الغربي بما فيه اليابان . ويدعى السوفيت تبريرا لعمليات تخفيض اجور الشحن بأن مؤتمرات اصحاب السفن الغربية تقرر اجورا عالية للشحن ويجب أن نذكر بأن مؤتمر اصحاب السفن هو تجمع تاريخي لخطوط ملاحية متنافسة سمحت لها حكوماتها بوضع تعريفية الشحن ، وهذا ما يحول دون الاتهام بالاحتكار . ويصر اصحاب السفن في الغرب بأن الاعانة الضخمة تجعل السفن التجارية السوفيتية مستقلة عن العوامل المؤثرة في السوق العالمية . وقد واجه اصحاب السفن خطرا آخر في السبعينيات ممثلا في التضخم الذي حدث حينذاك ، ونظرا لعدم وجود دعم حكومي ، اضطر معه كثير من اصحاب السفن في الغرب الى التوقف ويحصل الاتحاد السوفيتي على العملة الصعبة نتيجة خفض تعريفية الشحن بما يتراوح بين ٢٠٪ ، ٤٠٪ ، وتستخدم هذه العملات في الحصول على الحبوب والتكنولوجيا من الدول الرأسمالية ، كما تحاول السفن السوفيتية الحصول على الشحنات الاكثر ربحا ، وتترك العقود الاقل ربحا للخطوط الملاحية الغربية

وبالإضافة الى مكاسب الروس من العملة الصعبة ، فهناك أيضا مكاسب سياسية فعلية تحصل عليها موسكو من تخفيض تعريفية الشحن ، وذلك بجذبها كما متزايدا من الحركة الملاحية من وإلى العالم الثالث ، وبالتالي يزداد تأثير السوفيت وفعاليتهم السياسية بعد ما تصبح الدول النامية معتمدة على خطوط السوفيت الملاحية . غير أنه يمكن للسوفيت خفض تعريفية الشحن عن أصحاب السفن الغربية لأسباب أخرى غير الدعم الحكومي الذي تلقاه السفن السوفيتية، فأجور البحارة الروس أقل من نظرائهم في الغرب ويتقاضونها بالروبل غير القابل للتحويل ، كما أن تزويد السفن بالوقود والذي يبلغ ٨٠ دولارا للطن في الغرب لا يتكلف بالروبل الا ما يعادل ٢٠ دولارا لغنى الاتحاد السوفيتي نسبيا بالنفط ، كما أن السفن السوفيتية تزود بالمؤن ويتم تصليحها في أحواض السفن التابعة للكتلة السوفيتية ، وبالتالي يمكن مرة أخرى الاقتصاد في العملة الصعبة .

ويمكن أن نضيف أيضا أن نمط إجراءات الامان البحرية أقل منها في الغرب، وبالتالي تكون هناك زيادة في اقتصاد التكاليف ، وهناك عامل آخر يساعد على خفض تعريفية الشحن السوفيتية ، وهو ان نقابات عمال السفن في الغرب تطالب دائما بتحسين الاجور وأحوال البحارة ، وهو عنصر دائم في حسابات اصحاب السفن في الغرب ، على حين لا يوجد هذا العامل في الاتحاد السوفيتي ، (★) فالحكومة السوفيتية تصدر الاوامر للعاملين على السفن ، وهذه بدورها تنفيذ كأمر واقع .

وهكذا تكمن النتيجة التراكمية خلف الارقام المذهلة لتخفيض تعريفية الشحن وقد وزعت وثيقة على الدول الغربية البحرية الرئيسية بواسطة المجلس البريطاني للسفن Council of B. Shipping في مارس ١٩٧٦ ، تبين أن تخفيض تعريفية الشحن على السفن السوفيتية يبلغ ٢٥٪ دون التعريفية

(★) عرضت بريطانيا هذه الازمة بمفعتها صاحبة اكبر اسطول تجاري بين دول السوق المشتركة ، على الهيئة التنفيذية لدول السوق لطرحها على جدول الاعمال ولوضع سياسة موحدة تقضي بالحد من دور الاسطول الشيوعي في المواصلات البحرية ، وقد طرحت بريطانيا هذه المشكلة على دول السوق بسبب حدة الازمة ضدها ، اذ تمتلك اسطولا تقدر حمولته بنحو ١٧ مليون طن ، وتواجه انخفاضاً في معدل الزيادة على الطلب حتى أصبح لا يزيد على ٠.٢٪ وهذا دون معدل الزيادة في الطلب العالمي والذي يقدر بنحو ٥٪ ، ويشير تقرير الهيئة التنفيذية لدول السوق المشتركة الى ان حمولة الاسطول الشيوعي بلغت ٣٣ مليون طن عام ١٩٧٧ ، وبذلك يكون هذا الاسطول قد حقق زيادة قدرها ١٤٠٪ بين عامي ١٩٧٣ ، ١٩٧٧ ، وهذا يفوق مرات عديدة معدل الزيادة في التبادل التجاري البحري ، ومعدل الزيادة في التبادل الكلي العام (راجع التقرير في مجلة النهار العربي في ١٨/١٢/١٩٧٨ الصادرة في باريس : المترجم) .

المتفق عليها في المؤتمرات ، على طرق امريكا الشمالية ، وتبلغ ٣٠٪ دون التعريفه
انسائدة على خطوط امريكا الشمالية ، جنوب افريقية ، اما على بعض خطوط
الشرق الاقصى فقد بدأ الروس تخفيضات تصل الى ٦٠٪ ، ولم يرفع الروس
التعريفه على خطوط الشرق الاقصى الا بعد احتجاج شديد ولكن اصحاب
السفن الامريكية واليابانية مازالوا يدعون بأن التعريفه الروسية مازالت منخفضة
بمعدل من ٣٠ الى ٤٠٪ ، وهناك حالة حديثة مميزة في هذه التخفيضات ، على
طريق المملكة المتحدة / شرق افريقية ، وعندما عملت السفن السوفيتية على
هذا الطريق في خريف عام ١٩٧٥ بأسعار أقل بنحو ٣٠٪ عن المتفق عليه في مؤتمر
اصحاب السفن ، أعلنت موسكو نيتها في الاستحواذ على ثلث الحركة المتجهة
من وإلى المملكة المتحدة ، وقد لخص المجلس العام للسفن البريطانية هذا الموقف
في العبارة التالية :—

« ان النظام السياسي والاقتصادي للدول الاشتراكية ، يجعل مسألة
الاربحية غير ذات أهمية ، اذا ما قورنت بمتابعة الهدف الرئيسي للمصالح
القومية » (٩)

أكبر أسطول صيد عالمي

صاحب التوسع في الاسطول التجاري نمو في اسطول الصيد ، فمنذ
عشرين عاما ، كان صيد السوفيت للأسماك يقتصر بالدرجة الاولى على المياه
الساخية للاتحاد السوفيتي ، ولكن فشل برنامج خروشوف الخاص بالارض
البكر لزيادة انتاج الحبوب والفشل المتكرر للزراعة أدى بقيادة الكرملين للبحث
عن مصدر بديل للغذاء والبروتين . وبدأوا في عام ١٩٥٩ برصد مبلغ ٢ بليون
دولار في الخطة الخمسية لانشاء اسطول صيد للمياه العميقة ، وبعد تولي
بريجنيف السلطة خلفا لخروشوف في اكتوبر ١٩٦٤ ، اتخذ برنامج التوسع
بعدا استراتيجيا جديدا ، فقدم ايشكوف Ishkov خطة خمسية أخرى لبناء
أسطول صيد ، وتبعتها خطط متتابعة ، كانت النتيجة ان انتشر لموسكو أكبر
اسطول صيد حديث في العالم يدار بطريقة مركزية ، مزود بأخر التجهيزات
الملاحية والالكترونية ، ومن الناحية الاستراتيجية ، فان اسطول الصيد يمثل
مقدمة للبحرية التجارية والحربية ، يصل بالنفوذ السوفيتي الى أبعد أركان
المحيطات العالمية .

ويحكي لنا سجل اللويد للسفن (١٩٧٦) قصة التوسع في اسطول الصيد
السوفيتي ، فطبقا لهذا المرجع يضم اسطول الصيد السوفيتي ٤٢١٩ سفينة

تزيد حمولة كل منها على ١٠٠ طن ، اذا ما قورن بعدد سفن اسطول الصيد الياباني لنفس الحمولة وقدرها ٣١٤٩ سفينة ، واذا أضفنا اليها سفن الصيد الصغيرة ، يصبح للاتحاد السوفيتي أكثر من ثلث اسطول الصيد في العالم ، وتظهر زيادة الروس في سفن الصيد ذات المعامل (التي تصنع الاسماك) فيسجل اللويد ١٠٠٠ سفينة صيد ذات حمولة أكثر من ٢٠٠٠ طن اذا ما قورن باليابان التي تملك ٧٥ سفينة ، والولايات المتحدة الامريكية التي تملك سفينتين فقط ، ونظرا لتضخم اسطول الصيد في وقت وجيز ، فقد أصبح نصيب السوفيت نحو ١٥٪ من محصول الصيد العالمي ، ويأتي نصف هذا المحصول من سواحل دول اجنبية .

غير انه لا يمكن فهم عمليات الصيد بالكامل بمعزل عن الاشارة ولو باختصار الى ادارتها المركزية وتركيبها شبه الحربي . ويتضح من الدراسة المسحية التي قام بها سيللي T. S. Sealy ان الحكومة السوفيتية مسئولة عن كل عمليات الصيد عن طريق وزارة صيد الاسماك المشرفة على الميزانية والتعاون بين جميع القطاعات من الصيد الى التصنيع ، والتوزيع ، وتصميم السفن ، والتنمية . ويتم الاشراف خلال خمس ادارات مقسمة بحسب التوزيع الجغرافي للمحيطات ، وتشرف عليها جميعا مؤسسة واحدة ، وتعمل جميع سفن الابحاث وكأنها جزء مكمل لاسطول الصيد .

وكتب سيللي بهذا الخصوص ان هذا التوسع في اسطول الصيد ، حول الصيد من حرفة جماعية محلية ، وهو الشكل السائد خارج الاتحاد السوفيتي الى حرفة قومية معترف بها وذات تركيب مخطط . ونظرا لان اساطيل الصيد تجوب بحار العالم ومحيطاته ، فيقوم على خدمته نظام متكامل ، ينتشر من قاعدة الاسطول في الاتحاد السوفيتي ، يتمثل في سفن نقل الاسماك ، والسفن المعامل ، وناقلات النفط التي تزود سفن الصيد بالوقود وهناك السفن الام الكبيرة التي تسيطر وتشرف على العمليات التكتيكية لسفن وقوارب الصيد اثناء كشفها للسواحل البعيدة ، وقد أدى التعقيد الشديد لهذه العمليات الى الاسراع في تصميم مثل هذه السفن ، ولكن المظهر الأكثر أهمية في هذا التنظيم الضخم الذي يتحكم في آلاف سفن الصيد يتجلى في الميدانيين السياسي والاستراتيجي ، اذ كان لاتساع العمليات التي يقوم بها اسطول الصيد ووصوله باستمرار الى أرجاء المحيطات ، اثره في ان أصبح جزءا هاما من علاقات اتصال الاتحاد السوفيتي ، بكل من الدول النامية والمتقدمة ، وفي المجال السياسي الدولي بوجه عام . (١٠)

اباطرة صيد الاسماك

أصبح الاتحاد السوفيتي بفضل ملكيته لاقوى اسطول صيد في العالم ان يكون في مركز قوة ليفرض ارادته على اكثر المصايد اربحية ، وقد استطاع الاتحاد

السوفيتي عقد سلسلة من الاتفاقات الخاصة بصيد الاسماك مع اقطار العالم الثالث ، وذلك قبل انعقاد مؤتمر البحار الذي اشرفت عليه الامم المتحدة فقد وقع الاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٧٦ على سبيل المثال اتفاقيات بشكل أو آخر مع انجولا وموريتانيا والعراق . وبهذه الطريقة سواء بتكوين شركات صيد مشتركة أو بعقد اتفاقيات مفتوحة لتنمية الصيد ، يمكن لموسكو أن تطوق الاتفاقيات العامة الدولية التي تهدف الى حفظ الحقوق الوطنية وحقوق السيادة على مياهها الإقليمية . وقد ساعدت هذه الاتفاقيات الثنائية مع التوسع الديناميكي للقوة البحرية السوفيتية على دفع أساطيل الصيد وقيادتها الى المحيط الاطلنطي الجنوبي ، والمحيط الهندي ، والمحيط الهادي ، ثم تتبعها سفن الشحن والسفن الحربية ، وبهذه الطريقة استخدمت أساطيل الصيد السوفيتية مواني البصرة وكولومبو ومورشيس ، بينما تعتبر عدن الميناء الام لهيئة صيد مشتركة مع الصومال (قبل طرد الصومال للخبراء السوفيت : المترجم) وهناك شعور عام سواء في الدول المتقدمة أو دول العالم الثالث بأن الروس يستنزفون الاسماك من بحار العالم ومحيطاته ، فيعتقد بعض الخبراء أن صيد الروس للأسماك في الاطلنطي الجنوبي يزيد على ما تصيده كل الدول الساحلية هناك مجتمعة ، بينما في الاطلنطي الشمالي فيعتبر استنزاف الروس مسئولاً عن النقص في اسماك القد Cod والهادوك والمكاريل ، وقد أغلقت كندا موانئها على الاطلنطي أمام الصيادين الروس لمدة ١٠ أيام عام ١٩٧٥ كنوع من الاحتجاج على استنزاف الاسماك ، واشتكت سلطات جرينلاند في يونيو عام ١٩٧٦ من أن سفن معامل الاسماك الروسية التقطت من ساحل الجزيرة الشرقي جميع الاسماك الصغيرة حتى تلك التي يقل وزنها عن رطل ، وبالتالي فقد قضت على زريعة الاسماك في مشاتها ولا تنتهي عملية الاحتجاج ، فقد اشكت باكستان والمكسيك واستراليا خلال عامي ١٩٧٥/٧٦ من عمليات الافناء التي تقوم بها أساطيل الصيد الروسية ، ورغم ان الصينيين يصعدون نقدهم لاستنزاف الروس للأسماك بطريقتهم الهجومية ، فقد تردد صدى هذا الانتقاد في العالم كله في أواخر السبعينيات .

« ان اباطرة الصيد السوفيت الرجعيين على استعداد لان يستخدموا اسوا الطرق كلما وجدوا الفرصة لصيد الاسماك ، ومزيدا من الاسماك ، ليعملون حسابا للحاجة الى حماية الموارد السمكية ، مستخدمين الشباك ذات العيون الصغيرة ، وشباك الجر والاضواء الكهربائية لاستنزاف الاقاليم من أسماكها ، وينزلون الى البركل الاسماك التي وقعت في الشباك بصرف النظر عن حجمها ، صغيرة أم كبيرة ، فقد استنزفوا قدر حصتهم من الاسماك في شرقى كندا بنحو ٢٠٠ ٪ ، واستولوا على نصف الاسماك الموجودة في مياه ايسلندا ، وجمعوا تقريبا

كل أسماك البحر العميق في مياه الساحل الغربي لافريقية ، * وبذلك ضربوا عرض الحائط بكل اتفاقيات صيد الاسماك الدولية والاقليمية التي وقعوها . (١١)

ولا يقل استغلال أسطول الصيد السوفيتي لمياه امريكا الشمالية وغرب أوروبا عن مياه العالم الثالث ، ولعل في ظهور اتفاق جماعي بين دول السوق المشتركة في مؤتمر قانون البحار عام ١٩٧٦ مما يدل على استنزاف السوفيت لمياهها ، فقد وافقت معظم الدول على أن الدولة الساحلية يمكنها أن تطالب بمنطقة اقتصادية محرمة على الغير Exclusive Economic Zone تمتد لمسافة ٢٠٠ ميل من خط الساحل ، وهذا النطاق ليعتبر مياهها اقليمية والتي تظل ١٢ ميلا بحريا لمعظم الاقطار ، ولكن في حدود المائتي ميل ، يصبح للدول الساحلية الحق في استغلال الاسماك والنفط وغيرها من الموارد البحرية . لذلك اصدرت كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا قوانين عام ١٩٧٦ باعتبار أن المساحات التي تمتد لمسافة مائتي ميل من شواطئهما يقتصر استغلالها الاقتصادي على كل منهما .

وفي غرة يناير ١٩٧٧ بدأ الاثر الفعلي لمنطقة المائتي ميل في الظهور ، مع السماح بحصة للدول الخارجية عن السوق ، وحددت حصة الاتحاد السوفيتي على سبيل المثال في الثلاثة شهور الاولى لعام ١٩٧٧ بمقدار ثلث ما حصل عليه لنفس الفترة في العام السابق كما يؤيد الاتحاد السوفيتي حرية المرور لجميع السفن في المضائق الدولية كجبل طارق (برافدا في ١٢ فبراير ١٩٧٦) فاذا وضعنا في الاعتبار وضع الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى ، بالاضافة الى أنها تمتلك اكبر اسطول صيد عالمي ، فهذه المبادئ تعطىها حرية تامة في الوصول الى المصايد العالية .

وقد اكتشفت دول السوق المشتركة أن المشكلة الاساسية هي استخدام القوة ، ففي يناير ١٩٧٧ استمرت سفن الصيد الروسية في استنزاف منطقة

* — المياه الاقليمية أو ما يعرف باسم البحر الاقليمي Territorial sea يمتد من خط الساحل لمسافة معينة في البحر ، تختلف من دولة الى أخرى ، قد تكون ١٢ ميلا ، وقد يقل عن هذا ، وفي هذا النطاق نجد أن سيادة الدولة مطلقة الا فيما يخص بالمرور البريء للسفن الاجنبية ، وللسفن الاجنبية حق عبور هذه المياه مادام عبورها لا ينطوي على اضرار او اهانة للدولة الساحلية (راجع الجغرافية والمشكلات الدولية ، للمترجم طبعة القاهرة ١٩٧٨) ويلاحظ أيضا أنه اذا أخذ ببدا حجز منطقة عرضها مائتي ميل تحرم على الغير ، فمعنى هذا أن هناك مساحة تقدر بين ٣٦٪ ، ٣٧٪ من مساحة البحار والمحيطات ، تقع تحت السيطرة الوطنية للدول الساحلية وهي مساحة تقرب من مساحة كتلة اليابس .

المائتى ميل الخاصة بالمملكة المتحدة ، حتى لقد شعرت دوائر هو ايتهل بما يشبه التأكيد بتخطي الروس لحصتهم التي وضعتها المملكة المتحدة ودول السوق المشتركة (الجاردان في ١٧ يناير ١٩٧٧) ودلت التقارير بعد ذلك بيومين على أن وزراء خارجية السوق قد اتفقوا على طرد سفن الصيد الروسية من نطاق المائتى ميل الخاص بدول السوق ، ولكن في منتصف فبراير ١٩٧٧ ، اشارت التقارير الى ان هناك ستين سفينة صيد روسية تقوم بعملها في مياه المملكة المتحدة وحدها .

وقد سمحت دول السوق لروسيا بعد مفاوضات تمت في ١٨ فبراير بالابقاء على اربعين سفينة فقط في نطاق المائتى ميل الخاص بالمملكة المتحدة حتى آخر مارس ١٩٧٧ ، ولكن مازالت المشكلة الرئيسية وهي استخدام القوة ضد سفن الصيد الروسية ، قائمة .

وظهر تعقيد آخر بالنسبة لدول السوق المشتركة ، وتمثل في اهتمام كوبا بمياه اوربا الشمالية مما سبب ازعاجا لاصحاب السفن في دول السوق ، فقد طلبت هافانا في يولية ١٩٧٦ بحصة من الاسماك من مياه المملكة المغربية ، وكان اعلان قصر المائتى ميل على دول السوق قد حال دون صيد كوبا في المياه البريطانية ومع ذلك فكما اتضح من حرب انجولا (٧٦/١٩٧٥) ، فان كوبا تتمتع بمركز ممتاز في الامبراطورية الروسية ، كوكيل رئيسي لموسكو ، وفي هذا المجال فقد قام الكوبيون بتنمية عمليات اسطولهم للصيد على نطاق عالمي بمعاونة السوفيت ، فعلى سبيل المثال حصلت كوبا على تسهيلات للصيد في غينيا والكنغو ، وعقدت اتفاقيات اخرى فنية للصيد مع جامايكا والمكسيك وبيرو وعدن ، وكذلك وقع نظام جبهة التحرير الشعبية MPLA في لواندا اتفاقية لصيد الاسماك مع كوبا في ١٩٧٦ . والامر العجيب ان تلعب كوبا دور الوكيل فيما يختص بالاعتداءات السوفيتية في مياه اعالي البحار .

أَسْطُولُ الْمَسْحِ الْبَحْرِي

لا يمكن فهم عمليات البحرية السوفيتية واسطول الصيد دون ذكر دور سفن المساحة والابحاث البحرية ، فهي الرائدة للقوة البحرية وهي عيون وآذان المخابرات البحرية السوفيتية ، ونواة اسطول الابحاث ، هي مجموعة من السفن مكونة مما يزيد على خمسين سفينة مجهزة خصيصا لتجميع المعلومات للمخابرات ، وهي معروفة لاساطيل حلف شمال الاطلنطي باسم AGIs ، وهي مجهزة خصيصا بأجهزة الكترونية على درجة عالية من الدقة ، ومعظم هذه السفن يعمل مع اساطيل الصيد السوفيتية في محيطات الاطلنطي والهادي والهندي ،

ولكن من المعتقد أن خمس عشر سفينة منها ملحقـة بأسطول الشرق الأقصى وقاعدته فلا ديفستوك ، وبعض سفن أسطول AGIs السوفيتي يبلغ وزنها ٥٠٠ طن ، وتعتبرها الاساطيل الغربية من أفضل سفن المخابرات العاملة .

ولا يقتصر نشاط سفن AGIs على مراقبة حركة الاساطيل الغربية في أعالي البحار ، بل تعمل أيضا بالقرب من القواعد الحساسة لسواحل الدول الغربية حيث أمكن اكتشافها كما يتبين فيما يلي :

اثينا في نوفمبر ١٩٧٥ : سفينة المخابرات الفا Elva متخفية على هيئة سفينة متسكعة (ولكن بهوائيات متطورة) تتجه الى ميناء بيريه حيث يمكنها أن تراقب جميع الاتصالات في منطقة اثينا ، وقد اكتشفت ، وأجبرت على المغادرة فوراً .

محريد في يناير ١٩٧٦ : قرر الرسميون الاسبان بأن سفن الصيد السوفيتية في مياه جزر كناريا تبعث برسائل اخبارية الى الاسطول السوفيتي في البحر المتوسط

اوتاولا في فبراير ١٩٧٦ : ذكر قائد القوات البحرية الكندية أدميرال دوجلاس بويل في مقابلة في الاذاعة الكندية بأن بعض سفن الصيد السوفيتية في كل من سواحل المحيط الهادي والمحيط الاطلنطي تقوم أيضا بأن بأعمال حربية ، تراقب ترددات الاذاعة والرادار ، وكثير من بحارة هذه السفن هم من أفراد الاسطول الروسي .

أوكلند في مايو ١٩٧٦ : صرح الرئيس مولدون بأن هناك ٤ سفينة صيد روسية في مياه نيوزيلند . ولكن بعضها يبدو أنه سفن أبحاث تجمع معلومات حربية وأضاف بأن الاتحاد السوفيتي يحاول مد نفوذه السياسي والحربي الى المحيط الهادي الجنوبي بما فيها مملكة تونجا .

لندن في سبتمبر ١٩٧٦ : ظهرت سفينة الابحاث الروسية « أوشيا نوجراف » بالقرب من ليث Leith وأبردين ، ولم يسمح لها بدخول المينائين ، وصرحت المخابرات البحرية البريطانية للصحافة بأن السفينة الروسية هي سفينة تجسس تراقب مناورات حلف شمال الاطلنطي .

وتقوم أحيانا سفن الابحاث والنقل بتهريب الاسلحة والعملاء الى الدول غير الشيوعية . وفي هذا المجال تعتبر هونج كونج هدفا خاصا لعمليات السريين ، وهذه القضايا تهم سلطات بكين على ضوء العلاقات المتوترة بينها وبين موسكو . وتظهر احصاءات السفن الروسية الزائرة لهونج كونج بأن في عام ١٩٦١ لم يزر هونج كونج سوى سفينتين روسيتين ارتفع هذا الرقم الى ١٢٣ سفينة في ١٩٧٤/٧٥ ، واستخدم الروس أيضا البحارة الكوبيين لتهريب عملائهم الى هونج كونج ، وقد عبرت حكومة بكين عن اهتمامها بهذا الامر لوزير الخارجية البريطاني

كروسلاند خلال زيارته للصين عام ١٩٧٦ نتيجة لزيادة نشاط السفن التجارية في معاونة المخابرات الروسية KGB .

• رحلة سفينة الأبحاث كاليسْتو

ويرتبط بالتوسع في القوة البحرية السوفيتية بوجه خاص هذا النشاط الكبير لاسطول أبحاث المحيطات والمؤلف من مائة وستين سفينة ، والذي يعد الآن أكبر أساطيل الأبحاث ، وتدرس هذه السفن درجات الحرارة ، والتيارات البحرية ، الملوحة وغيرها من المسائل العملية الخاصة بمحيطات العالم ، وهذه الدراسات هي بالضرورة عملية لفائدة البحرية السوفيتية والبحرية التجارية .

وكان من نتيجة عمل أسطول أبحاث المحيط طوال العقد الماضي ، أن أصبح لدى السوفيت كما من المعلومات عن محيطات العالم ، وبخاصة عن المحيط الهندي . فقد ركز السوفيت في هذا الاقليم على رسم التيارات البحرية ، ورسم خرائط الأعماق بغرض الاستفادة منها لصالح الغواصات في واحد من أكثر أقاليم العالم حساسية من الناحية الاستراتيجية .

وما زال اهتمام السوفيت بالمحيط الهندي مستمرا ، ففي ٢٤ مايو ١٩٧٦ أذاعت محطة فلا ديفستوك بأن سفينة الأبحاث كاليسْتو Kallisto التابعة لمركز أبحاث الشرق الأقصى ، قد غادرت فلاديفستوك في رحلة لمدة ١١٧ يوما الى المحيط الهندي ، سيري لانكا ، الهند وجزر أندمان ومالديف بغرض عمل أبحاث عن الأحياء البحرية (Christion Monitor, 29, june 1977) وبهذه الطريقة يستمر الاتحاد السوفيتي عمليا في تنمية جميع موارد القوة البحرية ، علميا وتجاريا وحربيا ، وليس الغرض هو السيادة على الطرق التجارية الاستراتيجية ، فحسب ، بل لتفريغ الأجزاء المكتشفة من محيطات العالم من مواردها الاقتصادية ويصبح الاسطول السوفيتي والبحرية التجارية هما ذراعين لتنفيذ سياسة عالمية واحدة .

الجزر الشمالية لليابان

لا تظهر العلاقة المتشابكة بين الاسطول السوفيتي وعمليات الصيد والتوسع الاستراتيجي أكثر وضوحا كما هو الحال في مياه اليابان ، فهنا تجتمع مصادر القوى البحرية السوفيتية مع القوة الجوية الرهيبة للشرق الأقصى في منطقة فلاديفستوك والتي تدعم الوجود السوفيتي المتزايد في غرب المحيط الهادي ، ومن أهداف البحرية السوفيتية واسطول الصيد في المنطقة هو الضغط السياسي

على اليابان ، في وقت انخفضت فيه ميزانية الدفاع في طوكيو الى الحد الأدنى ، وانتشرت فيه البحرية الامريكية ، وفكرت امريكا في سحب قواتها على فترات من كوريا الجنوبية ، من ثم فالقوة البحرية السوفيتية تستخدم لمضاعفة نفوذ موسكو في شمال شرق اسيا ، وهناك قضية رئيسية تزيد التوتر بين الاتحاد السوفيتي واليابان ، وهي قضية « الاقاليم الشمالية » ويقصد بها الجزر التي احتلتها روسيا في الايام الاخيرة من حرب المحيط الهادي طبقا لاتفاقية يالتا ، بمقتضاها تم الاتفاق على منحها لستالين جزاء له على دخوله الحرب ضد اليابان ، فاحتلت القوات السوفيتية الجزيرتين الجنوبيتين من جزر كوريل وهما ايتوروفو Etorufu وكوناشيري Kunashiri اليابانيتين ، واستولى الروس ايضا على جزيرتي هابوماى Habomai ، وشيكوتان Shikotan ويعتبران منذ القدم جزءا من هوكايدو وطن اليابانيين .

وتساعد عدم الرضاء لدى اليابانيين لاحتفاظ الروس بهذه الجزر في اوائل عام ١٩٧٦ لدرجة ان الرئيس ميكي Miki اعلن بأنه لا يمكن الوصول الى اتفاقية سلام رسمية بين طوكيو وموسكو ، مالم تحل مشكلة الجزر الاربع (The Times, 13 1976) أما فيما يختص بالاتحاد السوفيتي فيعتبر ان هذه القضية منتهية ، وأن هذه الجزر ستظل ضمن الاراضي السوفيتية ، هذا فضلا عن ان السوفيت يوضحون بجلاء بمناوراتهم الجوية والبحرية ، أنهم يملكون وسائل الضغط المباشرة سياسيا وحربيا على اليابان . ومن الوسائل الاولى لاستخدام هذا الضغط اكتساح اسطول الصيد السوفيتي للصيادين اليابانيين من مياه الجزر الشمالية في استعراض علني لقوتهم ، كما يعمل اسطول الصيد السوفيتي في مياه جزيرة هوكايدو نفسها وهي وطن اليابانيين دون خشية العقاب .

وكانت هناك تقارير متعددة عام ١٩٧٦ عن انتهاك الاسطول السوفيتي لمياه هوكايدو وازعاج الصيادين اليابانيين ، أحيانا في مدى الاميال العشرة الخاصة باليابانيين . ويدعي اليابانيون بأن عواماتهم اتلفت ، وشباكهم قطعت ، وأغرقت كميات كبيرة من الفضلات الملوثة في مياه الصيد الخاصة بهم ، بواسطة اسطول الصيد السوفيتي ، كما يتم القبض على سفنهم اذا اقتربت من الجزر الشمالية . وقد ورد في الصحف اليابانية في يولية عام ١٩٧٦ على سبيل المثال ان السفن السوفيتية خلقت مشاكل متكررة في مياه جزيرة هوكايدو وانه منذ بداية ذلك العام ، قبض السوفيت على تسع عشرة سفينة يابانية وحوكم مائة وتسعة صياد ياباني ، وبلغت الخسائر ملايين من الين الياباني ، واضطر بعض الصيادين ترك العمل مؤقتا . وسبق أن اكد عمدة مدينة كوشيرو Kushiro بأن معظم هذه الاحداث

وتؤكد المناورات الحربية السوفيتية الحديثة في مياه اليابان هذا الاتجاه ، ففي أبريل ١٩٧٥ في مناورات «المحيط ٢» أظهر الروس قدرتهم عن طريق أربع سفن من قوة العمل والتي انتشرت حول اليابان ، احداهما قامت بمناورات في بحر اليابان حيث شاهدت طائرة استطلاع صينية ، والاخرى كانت تراقب المياه السوفيتية في بحر اوختسك الى الشمال من اليابان ، اما الثالثة فقد وقفت على بعد مائتي ميل من اليابان ، بينما كانت الرابعة تناور بين جزر كارولين والفلبين ، وهذا له مغزاه بالنسبة للمخططين الحربيين اليابانيين ، لان السفينتين الاخيرتين كانتا تتفان في الطرق البحرية الحيوية المؤدية الى اليابان ، بذلك تصبح رسالة موسكو الى طوكيو واضحة .

وكانت مناورات يولية ١٩٧٦ مركزة اكثر كتحذير لطوكيو ، فقد ابهرت السفن الحربية السوفيتية في بحر اليابان في طريقها الى اوكرانيا ، بينما تحلق الطائرات الحربية نحو الجنوب على جانبي الجزر اليابانية لدعم الاسطول السوفيتي وقد اشتركت غواصات المحيط الهادي النووية في هذه المناورات ، وكانت المرة الاولى التي يرسل فيها الاتحاد السوفيتي طائراته الحربية تحلق على جانبي جزر اليابان . (١٢)

من القائد البحري ياماموتو الى القائد البحري جروشكوف

وفي النهاية يجب ان نشير الى ان الصينيين لا يفصلون بين التوسع السوفيتي في البحرية التجارية واسطول الصيد عن التوسع البحري السوفيتي . « من اجل المنافسة في السيطرة على العالم والموارد البحرية مع القوى العظمى الاخرى ، فان الامبريالية السوفيتية تعتبر الاندفاع نحو بحار العالم ومحيطاته جزءا من استراتيجيتها العالمية ، فتبحر سفنها الحربية بوحشية في جميع المحيطات وترسل اساطيل صيد قوية لتسهم في عملية نهب الاسماك الساحلية وموارد دفاع البحار الخاصة بالدول الاخرى دون ضابط ، كما ترسل سفنا للبحث العلمي الى مياه الدول الاخرى لتقوم بنشاطات الجاسوسية (Peking NCNA, in English, 17 March 1976) ومهما كانت

دوافع الصينيين ولهجتهم الهجومية ، فان تحذيرهم من التوسع البحري السوفيتي يتفق الى حد كبير مع تحليل البحرية الغربية ، وينزعج الصينيون بصفة خاصة من الوجود السوفيتي البحري في جزر كوريل ، وتؤيد وسائل الاعلام الصينية مطالب

اليابانيين في الجزر الشمالية ويعلق الصينيون أهمية كبيرة عليها ، على اعتبار أنها تشرف على المضائق الواقعة بين المحيط الهادي وبحر اوخيتسك ، فسيطرة السوفيت على جزر كوريل يجعل من السهل على القوة البحرية السوفيتية الوصول الى المحيط الهادي ، وبالتالي يخلق تهديدا محتملا للصين .

ووصفت اذاعة بكين الموجهة الى اليابان في ١٣ يناير ١٩٧٦ على لسان احد الصيادين اليابانيين مدى تمسك السوفيت بالاقاليم الشمالية ، فذكرت أن عشرات الطائرات الحربية حلقت فوق جزر كنتشيري ، كما ترسو السفن الحربية في خليج هيتو كابو Hitokapu وجزيرة اتورفو ، فهذا هو الذي يخفيه السوفيت بسفن الصيد في هذه المياه . وينبع جزء من مغزى بقاء السوفيت في جزر الكوريل الجنوبية من حقيقة ان هذه ليست المرة الاولى في التاريخ المعاصر لخليج هيتوكابو ذو المياه العميقة لرسو الاساطيل التي لم يلاحظها قواد البحرية العظام ، وان كانت الاذاعة الصينية امتنعت عن ذكر هذه الحقيقة للمستمع الياباني ، فقد كان هذا الخليج لميزاته الطبيعية ، موضع اختيار ادميرال ياماموتو Yamamoto (قائد البحرية اليابانية الشهير) للاجتماع السري لحاملات الطائرات في نوفمبر ١٩٤١ . ومن هذا الخليج المغلف بالضباب والسهل الخروج منه الى مياه المحيط الهادي الشمالية ، وحيث الحركة قليلة ، قامت حاملات الطائرات بهجومها المفاجيء المدمر على بيرل هاربر في ٧ ديسمبر ١٩٤١ . (١٣)

* * *

الخاتمة

تهديد للغرب

ان نمو القوة البحرية السوفيتية الديناميكي والمستمر يمثل تهديدا متزايدا للغرب . ويعتبر نمو الاسطول التجاري واسطول الصيد « جزءا مكملا للقوة البحرية السوفيتية » كما يقول أدميرال سيرجى جروشكوف .

ففي مدى عشرين عاما قفز الاسطول التجاري من المركز السادس والعشرين الى المركز السادس ، ونظرا لدعم الحكومة لخطوط الملاحة السوفيتية ، فانها تقوى على منافسة الخطوط الملاحية الغربية ، وبالتالي يزداد نصيبها من التجارة العالمية ، وتبني سفن الشحن بحيث تكون مساعدة للاسطول ، كما يعمل أفراد الاسطول بزيارة ابعد الموانئ العالمية كعيون وآذان للمخابرات البحرية من القواعد البحرية والمراسي المتزايدة باستمرار .

وفي نفس الوقت يتجول أسطول صيد حديث مجهز بحيث يصبح شبه حربي في أعالي البحار ، ويحصل هذا الاسطول ، كأكبر اسطول عالمي ، على صيده ضاربا عرض الحائط بكل الاتفاقيات الدولية ، وساعد الروس على الوقوف في وجه منافسيهم الغربيين سلسلة من الاتفاقيات الثنائية ، عقدها الاتحاد السوفيتي مع دول العالم الثالث ، ويرتبط بهذا أشد الارتباط ببناء أسطول للمساحة والابحاث البحرية ، وهو بدوره مرة أخرى أكبر اسطول في العالم من نوعه . ويقوم هذا الاسطول بزيارة ابعد الموانئ العالمية كعيون وآذان للمخابرات البحرية السوفيتية .

وبهذه الطريقة وفي أكثر من عقد بقليل تقدمت القوة البحرية السوفيتية نحو تحقيق أهداف موسكو في كل من السيادة على الطرق البحرية الحيوية ، والموارد الاقتصادية البحرية الكامنة . ولا يرجع هذا النمو الى عوامل مرتبطة بالسوق العالمية ، لان هذا التوسع الهائل في القوة البحرية مرسوم عن قصد في السياسة الاستراتيجية للكرملين ، فتحدى الغرب أصبح صحيحا .

ولا يخفي القادة السوفيت اقتناعهم بأن قوتهم البحرية النامية سوف تلعب دورا حاسما في الوصول الى ما يسميه ليونيد بريجنيف « الانتصار العالمي للاشتراكية » أي سيادة السوفيت على العالم . ولعل الادmirال جروشكوف

الذي يرى نفسه ما هان Mahan * القوة البحرية السوفيتية واضح تماما ، حين ذكر في كتابه **القوة البحرية للدولة (١٩٧٦)** بأن « النمو الذي يجري الان في العالم في عصر الوفاق يتميز بتغيرات جوهرية في ميزان القوى لصالح الاشتراكية » اى لصالح السوفيت ، ولكن نظرا لان قوى الامبريالية مازالت قائمة ، فان خطر الحرب لم يزل بعد ، بهذه الطريقة يقول ادميرال جروشكوف بأن الاتحاد السوفيتي لا بد وأن تكون له امكانات النصر في أعالي البحار ، وبالتالي فلا بد له ان يبني قوته البحرية لمواجهة ما يسميه ادميرال جروشكوف « الاستراتيجية البحرية للامبريالية » اي التحكم في الطرق التجارية الحيوية ، فهي وحدها سبب بقاء الغرب ، فالرسالة اذن واضحة ، اذ يتحدى القادة السوفيت السيطرة التقليدية للغرب على البحار ، وان ادى هذا عند الضرورة الى الحرب ، وبهذه الطريقة يامل الاتحاد السوفيتي في فرض ارادته على الاحداث العالمية » .

وهكذا فان النمو الكبير للبحرية التجارية السوفيتية ، واخواتها من سفن الخدمات يجب ان ينظر اليها بهذا المنظار ، لان البحرية التجارية السوفيتية في نظر موسكو ، اداة رئيسية لمد النفوذ الاستراتيجي السوفيتي على محيطات العالم .

* — ماهان ١٨٤٠—١٩١٤) الف كتابه عن « اثرة القوة البحرية في التاريخ فيما بين عامي ١٦٦٠—١٧٨٢ » ، وكان مفهوم ماهان مستبدا من تجاربه وخبرته كرجل بحر ، من ثم كانت القوة الحقيقية في نظره هي القوة البحرية وهي التفسير للتاريخ ، ويرجع هذا الى ان البحر كان حرفته كما انه عاش في فترة كانت فيها بريطانيا ملكة البحار ، من ثم لم يكن غريبا عليه الاعتقاد بأن القوة البحرية هي الدعامة الاولى للقوة العالمية ، ففي نظره البحر طريق متسع ، يحمل جميع السلع ضرورية وكبالية سواء من ثمرات الارض او من صنع الانسان ، وامل كل دولة ان تقوم بهذه المهمة ، ولكن لا بد لسفنها من موانئ آمنة ترسو فيها ، كما لا بد وأن تحميها دولها في رحلاتها المختلفة وتنبأ بأن الولايات المتحدة الامريكية هي التي يمكن ان تترث بريطانيا في السيادة على البحار .

ويعطي ماهان عناصر متعددة تؤثر في قوة الدولة البحرية وهي ، الموقع الجغرافي والتكوين الطبيعي للدولة ، وامتدادها ، وحجم السكان وسياسة الدولة فيما يخص بتوجيه مواردها .
(المترجم)

التوثيق

- (1) Quoted in **Pravda**, 25 July 1976.
- (2) Interview with Robert Merry, **Chicago Tribune**, 8 March 1976.
- (3) Brian Crozier, **Security and the Myth of Peace**, Conflict Studies, No. 76, ISC, November, 1976, P.3.
- (4) Moscow TASS in English, 13 May 1976, Review of Admiral Gorshkov's, **The Sea Power of the State**.
- (5) Brian Crozier, **The Soviet Presence in Somalia**, Conflict Studies, No. 54, ISC, February 1975, P.9.
- (6) **Daily Telegraph**, 3 February 1977.
- (7) **Daily Express**, 1 February 1977.
- (8) David Rees, **Soviet Strategic Penetration of Africa**, Conflict Studies, No. 77, November, 1976, PP.8-9, CF. Appendix 2, of this study for a list of Recent trading (inc. fishing) agreements with African States.
- (9) Western Shipowners Cry Foul on Soviet Practices, **Christian Science Monitor**, 23 March 1976.
- (10) T.S. Sealy, **Soviet Fisheries: A Review Marine Fisheries Review**, Washington, Vol. 36, No. 8, August 1974, P.5.
- (11) Peking Domestic Service, 6 May 1976.
- (12) **Japan Times**, 7 April and 10 July 1976.
- (13) Roberta Wohlstetter, **Pearl Harbour: Warning and Decision**, Stanford MP, 1962, P.379. At Hitokappu Bay the Fleet "was less likely to be observed even by Japanese citizens".

* * *

صدر من هذه النشرة

- ١ — زراعة الواحة في وسط وشرق شبه الجزيرة العربية
ترجمة الدكتور زين الدين عبدالمقصود
- ٢ — أسس البحث الجغرفلوجي مع الاهتمام بالوسائل العلمية
المناسبة للبيئة العربية
بقلم : الدكتور طه محمد جاد
الدكتور عبدالله الفنيم
- ٣ — توطين البدو في المملكة العربية السعودية (الهجر)
ترجمة : الدكتور عبدالاله ابو عياش
- ٤ — اثر التصحر كما تظهره الخرائط
ترجمة : الدكتور علي علي البنا
- ٥ — سكان ايران ، دراسة في التغير الديموجرافي
ترجمة : الدكتور محمد عبدالرحمن الشرنوبي
- ٦ — القبائل والسياسة في شرقي شبه الجزيرة العربية
ترجمة : حسين علي اللبودي
- ٧ — سكان دولة الامارات العربية المتحدة
بقلم : الدكتورة امل يوسف العنزي الصباح
- ٨ — السياسات السكانية في افريقية
ترجمة : ا.د. محمد عبدالغني سعودي
- ٩ — اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب
ا.د. محمد رشيد الفيل

- ١٠- نحو تصنيف مورفولوجي لانخفاضات الصحراء
بقلم : دكتور صلاح الدين بحيري
- ١١- مواد السطح في البحرين - مسح المصادر وأهميته
التطبيقية للتخطيط الإقليمي
ترجمة : أ.د. حسن طه نجم
- ١٢- الطاقة والمناخ
ترجمة : د. زين الدين عبدالمقصود
- ١٣- التطبيق الهندسي للخرائط الجيومورفولوجية
بقلم : د. يحيى عيسى فرحان
- ١٤- بعض عواقب الهجرة على التنمية الاقتصادية
الريفية في الجمهورية العربية اليمنية
ترجمة : د. عبدالاله أبو عياش
- ١٥- البعثة العلمية الى شبه جزيرة مسنم (شمال عمان)
ترجمة : أ.د. محمود طه أبو الملا
- ١٦- نظام النقل العام والخدمات الترويحية في الكويت
استاذ عبد الوهاب الهارون
د. عبد الاله أبو عياش
- ١٧- مدن الشرق الاوسط
ترجمة : د. محمد عبد الرحمن الشرنوبى
- ١٨- تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني
والثالث الهجريين
بقلم : د. عطية القوزي
- ١٩- نظرات في الفكر الجغرافي الحديث
بقلم : د. طه محمد جاد